نظرة الكتابات الاستشراقية للحكم العثماني في الجزائر بين الموضوعية والمغالاة

إبان الفترة الحديثة (1519م-1830م) .

فريدة قاسي

الملخص:

أولت الكتابات الاستشراقية أهمية بالغة للحقب الزمنية المختلفة من تاريخ الجزائر، ولقد نالت الفترة العثمانية منه نصيبا كبيرا بحيازتها لحصة الأسد، بالنظر إلى كمية حجم المهتمين بالفترة ذاتها لشرح مصطلحاتها، ودراسة العديد من قضاياها على اختلاف مواضيعها وتشابكها. وقد اكتنفها في دراستها الزيف والمغالطة أحيانا بدافع الحقد الديني الدفين، مثلما راودتها نوع من الحقيقة النسبية أحيانا أخرى

تندرج مداخلتنا هذه والموسومة **" نظرة الكتابات الاستشراقية للحكم العثماني في الجزائر بين الموضوعية والمغالاة"** في إطار المحور الثاني المتعلق بصورة الشرق إبان فتراته التاريخية ، وفي إطار السياق المتناول أدرجناإشكاليتنا على النحو الاتي:كيف كانت رؤية الكتابات الاستشراقية لطبيعة الحكم العثماني في الجزائر؟ فيما تتمثل أهم مدارسها وأقطابها؟ وما مميزاتها؟ ما مجالات اهتماماتها ؟ ماهي مفاهيمها ومصطلحاتها الموظفة للفترة المدروسة؟ وما مدى مساهمتها فيملا الثغرات الموجودة في ظل عجز المصادر المحلية في سدِّها؟

الكلمات المفتاحية : الكتابات الاستشراقية– مجالات اهتماماتها - مصطلحاتها– مساهمتها.

السيرةالذاتية للطالبة:

- الاسم واللقب: فريدةقاسي

- الوظيفة: أستاذة السياحة بالمعهد الوطني المتخصص في التكوين المهنيين تيزي وزو منذ 2007،متحصلة على شهادة الباكالوريا شعبة اداب وعلوم إنسانية1994 ، فشهادة ليسانس في التاريخ سنة 1998 من جامعة بوزريعة ، فشهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة مولود معمري للعلوم الإنسانية والاجتماعية بتامدة، فطالبة دكتوراه سنة رابعة تاريخ ل م د، تخصص:الدولة العثمانية ،بجامعة بحي فارس بالمدية.

البريد الإلكتروني: kacifarida1976@gmail.comkacifarida2017@gmail.com ou bien

الهاتف الشخصي:0554.07.90.78

مقدمة:

حظيت الجزائر منذ إلحاقها بالدولة العثمانية عام 924هـ/ 1518م بدراسات متواصلة، وأبحاث مختلفة من طرف أجانبصبُّوا انشغالاتهم المنقطعة النظير على البحث في ثناياها- والتي لم يسبق و أن عرفته باقي الفترات التاريخية من تاريخها ،إلى درجة أن تنوعت أشكالها وتميز كُتَّابها- فمن قناصلةإلىأسرى، فرحالة، وجواسيس، ثم رهبان فرجالدينمتأثرين بظروف عايشوها، منفعلين ومتحسسين للأحوال الخارجية التي كانت تروم بأجواء وسواحل البحر المتوسط في ظل الصراع الديني بين المسلمين والمسيحيين وما يعرف بحروب الاسترداد التي تَقَوَّى ساعدها باشتداد الحركة الاستعمارية، والتي كانت وليدة النهضة الأوروبية على حد قول جول فيري.

كان لمثل تلك الظروف أنأبعدت الكُتَّاب الغربيين بكتاباتهم عن عين الصواب، فحاذت مواقفهم و أحكامهم عن الموضوعية التاريخية والحقيقة العلمية، حتى جانبوا الزيف والمغالطة أحيانا بل والمغالاة بدافع التحامل والكره والتعصب الديني أحياناأخرى، ثم لجهلهم بنفسية المجتمع الجزائري وأعرافهوأساليب تسييره.

1-**<u>أهمالمدارسالاستشراقيةوأقطابها</u>**: وهي متنوعة على اختلاف جنسيات كتابها ونذكر منها:

<u>أ- المدرسة الفرنسية</u>:

هي على نوعين، فأما كتاباتها في عهود ما قبل الاحتلال، فقد كان مبدأهمإثارةالرأي العام الأوروبي والمسيحي قصد وضع حد لمعاناة المسيحيين في الايالة الجزائرية، مُؤجَّجَةً بالحقد والكراهية وروح الانتقام بفضل جمعياتهم اللاهوتية (جمعيات الافتداء)، فهذا الأب دان قد ركز في كتابه الدول البربرية وقراصنتها "على العقوبات والمصائب التي أذاقهاالأتراك المتوحشون للنصارى الذين يستعبدونهم" **(بلحميسي. 1988، ص102)** ،كما وصف أتراك الجزائر بكونهم "نُهَّاب البحر مثلهم مثل الحيوانات المتوحشة، ينقضون على الغنائم وهم يصرخون.... حتى ولو كانت السفينة لإحدى الدول المرتبطة بمعاهدة الصداقة معهم...." **(غطاس . 1988،ص120)**، فكان بذلك وصفه متأثرا بطبيعة العلاقات العدائية بين العالمين الإسلامي والمسيحي، وكان لمثل ذلك الشعور أن انعكس على تحليلاته التي ظَلَّت حبيسة الروح العدائية، والتعصب الديني، وانعدام الموضوعية، وقلة المصداقية رغم أهمية بعض معطياتها.

كان وصف زعماء هذه المدرسة للايالة في العهد العثماني أن اتَّسَم بأبشع الصور على حد تقدير مولاي بلحميسي "فالجزائر في مؤلفاتهم حجر اللصوص، وغش الصعاليك، وجحيم النصارى وجمهورية قطاع الطرق، ورياس البحر متعطشون للدماء، وهم رعاة القوة،وحثالةالأتراك، وهم القراصنة والناهبون **(بلحميسي.1988، ص120)**،أما عن كُتَّابُهَا في المرحلة الثانية منها، فقد كانوا عسكريين أو مترجمين قناصل وجدوا كل الدعم من بلدانهم، فتبلورت جهودهم في لجان وجمعيات علمية، وأثرية، ودينية، كانت لهم مَنبَرًا لنشر دراساتهم وأبحاثهم متناولين فيها جوانب عدة ومتنوعة من تاريخ الجزائر خلال الحقبة العثمانية من تاريخها، لذلك تميزت بالغزارة في الإنتاج وتنوعه أمامإصرار القوى الغربية في توسيع حملاتها على الا يالة العثمانية ،والتي كانت ولا تزال الدرع الواقي والجدارالحصين ضد أي تغلغل صليبي في السواحل الغربية للبحر الأبيض المتوسط.

سارت الكتابات الغربية الفرنسية على هذا النهج إبان المرحلة التي أعقبت الاحتلال الفرنسي للجزائر،انتهج خلالها مؤرخوها وروادها في الدفاع عن الظاهرة الاستعمارية، ولعل إقدام مثل هؤلاء

الكتاب الغربيين الذين كانوا في غالبيتهم رجال عسكريينوإداريين فرنسيين كبربريجرودوغرامون وكاريت وروزيه وغيرهم على الجمع والبحث في حقبات التاريخ الجزائري، ودراسته لم يكن حُبًّا في إثبات الحقيقة التاريخية أو خدمة المعرفة الموضوعية، بقدر ما كان خدمة للوجود الاستعماري في الجزائر، وتبريره بدعوى التدخل من أجل الحفاظ على المقدسات الدينية والوطنية في الايالة، وهو ما حوته وثيقة دوبرمون بنزول القوات الفرنسية بسواحل العاصمة بدعوى تأديب الداي الذي أهان شرف فرنسا وحكومتها، وتخليص الجزائر من قيود الحكم التركي الجائر، ولقد شجعتها مساهمة الدراسات الاستشراقية في ذلك، محاولة منها لفهم عقلية المجتمع الجزائري، فكان من قادتها عمالقة الدراسات الأنثروبولوجيةكدلماس، بيير بورديووأودولفهانوتو تمهيدا لإحكام قبضتهم عليه في ظل افتقارها للنزاهة العلمية والحياد، فكانت مرآة عاكسة لوجهة نظر أصحابها، خادمة لسياسات بلدها الآنية والبعيدة.

كان من أهمأقطاب المدرسة الفرنسية في مرحلتها الثانية دوغرامون والذي صور الجزائر حسب مزاعمه قائلا "أنها مفزع ومؤذي المسيحيين من قبل ملاحوها الوقحين والذين لم يسلك منهم ولا فريق أوروبي، ولقد أعطت الفرجة للعالم لأمة تعيش من الباقي ولا تعيش سوى منه..." ويواصل قائلا "إن كنز الدولة يجمع طيلة ثلاثة قرون من سباقها على ذهب المكسيك، وفضة البيرو، وألماس الهند، وحرير الشرق" **(De Grammont. 1887, pp I,II)**.كما وجدناه في كتاب تَقَصَّى فيه محتوى المخطوط العربي والمرسوم بغزوات عروج وخير الدين بربروسةوالمدرج في المكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 942، بنظرة ملأها الاحتقار والاستعباط وهذا من خلال تساؤلاته كيف لأبناء فخار ميدلي أن يكون لهم شأن بناء إيالة الجزائر بالرغم من قوة الأسبان، ثم كيف لمثل هذه الأخيرة أن ظلوا لمدة أربعين سنة أسياد البحر المتوسط، أما تحليلاته فقد كانت ممزوجة بالنظرة الاستهزائية قائلا: "إن الرسول يظهر له في كل غزواته ليحميه من المخاطر والأعداء،كلما ظهر له منافس خطير كأندريه دوريا وأحمد ابن القاضي" **.(De Grammont. S.D.E,pp15-18)**

سار على نهج دوغرامونالمؤرخ بيليسي،إذ أنكلاهما لم يهتما بتاريخ الجزائر الحديث ، بقدر اهتمامهما باستعراض الأحداث الخاصة بالإيالة في إطار سياسة إسبانية في شمال أفريقيا، فأغفلا الكثير من الحقائق التاريخيةسيما على المستوى الداخلي والتي لعبت فارقا أساسيا في رسم التطورات، فسكتا عن أمهات القضايا كتفاديهما الحديث عن الفشل الأوروبي الإسباني ما بين 1708-1732م لغياب المصادر حسب زعمهما، وبعدم ثقتهما بالمصادر المحلية**. (DeGrammont .1887,p16)**

كذلك الشأن لفونتور دوبارادي وبربريجرممثليالمدرسة الاستعمارية الفرنسية، والحاملة في طياتها الطابع الإيديولوجي والبعيدة كل البعد عن الصفة العلمية، والتي صاغت كتبها عن الفترة المدروسة بصفة تتناسق ور ءاها الاستعمارية، مستهدفة زرع الشك في العقول الجزائرية في تاريخهم على حد تعبير(**الميلي. د ت ن ، ص 82**)، مُحبذة بذلك تناول الجوانب الحضارية للتواجد العثماني في الإيالة الجزائرية (**سعيدوني. 2012، ص40**)، نافية لأية مكانة دولية لها، كما رأت في التواجد العثماني مانعا حال دون اكتساب الجزائر لمقومات الدولة الوطنية، وعائقا لتطور النظم الاجتماعية والاقتصادية بها، مثلما تجاهلت الوجود التاريخي للشعب الجزائري،مؤكدةلفراغ الجزائر الحضاري.

ب- المدرسة الاسبانية:

جل روادها من القساوسة والأسرى، على رأسهم كُتَّاب اكبارا أمثال رجال الدين المسجونين ما بين 1578-1581 ك دوهايدو، والجاسوسي الاسباني في شمال إفريقيا كربخال مرمول، وكذا سرفنتسCervintes وغيرهم ممن كانوانقطة انطلاقة للمصادرالغربية إلى درجة القول بأننا لا نكاد نجد أي كُتَّابًتعرّضوا لتاريخ الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي دون الرجوع إلى ما أورده كل من البندكتي

دوهايدو ومرمول، واللذان قال فيهما جون وولف "كل من يرغب في كتابة تاريخ عام عن إيالة الجزائر، سيكون مدينا كثيرا للأشخاص الذين عاشوا في ها، وكتبوا عن تجربتهم، بالإضافة إلى مسئولي الدول الأوروبية الذين أرادوا أن يبقوا حكوماتهم على الإطلاع على الأحوال والمشاكل ... إن أعمال هايدوومرمولاتقدر بثمن، ولولاها لما قارب أي كِتَاب عن المغرب حدود الثقة العلمية" **(باتيست. 1986،ص495).**

كان للرَّاهب البندكنيدوهايدو أن ع رف- بحكم اعتقاله كأسير - بكتاباته عن الأسرى المسيحيين، وتعامل السلطات الجزائرية معهم، فعظّم من صورةمعانا تهم وتأثرهم من معاملات القراصنة العنيفة **(De Haedo.1911, p04)**، كما لميخف كورين شوفاليه في كون جزء كبير من أعمال دوهايدو تعبير واضح عن حقد دفين ، ورغبة شديدة في الانتقام والثأر **(شوفاليه. 2007، ص07)**، حتّى كانت المدرسة الاسبانية على غرار مثيلتها الفرنسية جد ناقمة على تدخل الإخوة بربروسة، متحسرة على ضياع الفرصة على أوروبا المسيحية **(سعد الله. 2005 ، ص30)**،يحذوها أمل زحزحة الإسلام ونشر المسيحية، فكانت جل كتاباتها نداءات ذو طابع ديني للقضاء على الهلال وحل محله الصليب .

ج -المدرسة الأمريكية:

تعود اهتماماتهابالإيالة إلى السنوات الأولى من ميلاد الجمهورية الأمريكية، متحكمة عليها عوامل عدة كان أهمها الجهل بثقافة المغرب الإسلامي، والتعالي الحضاري والعسكري دون نسيان التأثير بالتوجه التقليدي الأوروبي نحو الحضارة الإسلامية وأهلها.

كان لهذه العوامل وغيرها أن أ دخل الجزائر بأحداثها بقوة في أدبيات المدرسة الأمريكية، فكان كُتَّابها أسرى أمريكان واقعين في قبضة الجزائريين، اتّسمت مؤلفاتهم بالإثارة الدينية والوطنية مع عاطفة الاستعطاف للفداء والانتقام**(سعد الله. 1977، ص ص140-141).**

لم تتوقف على هذا الحد، بل أنتجت المسرحيات والروايات بهدف الإساءة إلى سمعة الجزائر، كرواية الجاسوس لبيتراماركو والدكتور أندرهيل (**سعد الله. 1985، ص69**) .كما برزت مذكرات القناصل لأشخاص مثقفين عايشوا السلطة والمجتمع الجزائريين، وكانت شهاداتهم أقرب إلى الموضوعية، وذات مصداقية بالغة اهتمت بإيراد عادات وتقاليد ا لسكّان،معتمدة على كتابات المدرسة الكولونيالية الفرنسية بترجمتها لها، فكانت لها دليلا، ولقد ذهبت مزاعم وليام شالير، القنصل الأمريكي بالجزائر إلى الاحتكار الذي مارسته الدولة على التجارة، ومنع الأهالي من ممارستهم لها خوفا من تدفق الثروة عليهم ، وهو تحليل اكتنفه رواسب الضعف والأحقاد المنبعثة من إهانات لا طالما تعرضت لها أمريكا في ظل معاهداتها مع الجزائر عام 1792م، وأفضى بعدم قبولية النظام التركي للإصلاح، مقترحا بديلا له،كما وصف الحكومة التركية بجمعها لجل الرذائل، ثم لم يصمت عن ترف وبذخ الحكام الأتراك"، **(شالير.1982،ص ص15،59)**،كماقترحفي كتابه على الدول الأوروبية احتلال الجزائر أمام ضعف قوتها وتراجع تحصيناتها. أما عن جيمس كاتكارت أسير الداي، فقد كانت له أعمال قيمة في مواضيع فدية الأسرى والسجون والمعاهدات لخصت تاريخ العلاقات الجزائرية الأمريكية. وعلى كل فقد كانت الكتب الأمريكيةتمجيدا لمواقف أمريكا ورفضا صريحا للجزية المفروضة عليها وللمعاهدات، وافتخارا لقوة أسطولها ،وتخلف الجزائر الحضاري.

2. مجالاتاهتماماتها:

إن المتصفح لأغلبية هذه المصادر الغربية على اختلاف مدارسها ومناهجها، يلاحظ عليها تطابقها في وجهات نظر كُتَّابها، الذين ركزوا في معظمهم على بعض المسائل دون غيرها، فكانت لهم فرصة لإظهار تحاملهم الجلي على السلطة الحاكمة، لذلك وجدناها في معظمها قد أولت أهميتها البالغة للواقع

السياسي الذي أخذ حصة الأسد كالحديث عن العلاقات الدبلوماسية الأوروبية مع الايالة الجزائرية، مخصصة حيزا بارزا لثنائية الصراع الدولي المميز لواقع العلاقات الدولية بين العالم الإسلامي سيما إبان القرون 16م و18م وعدوه الغربي المسيحي. و لما كانا القرنين السابع عشر والثامن عشر العصر الذهبي للجزائر عسكريا وسياسيا وحتى اقتصاديا فقد أولت الأهمية لقضية الإتاوات والغنائم البحرية، والقرصنة (الجهاد البحري)، البحرية، الأسرى و افتدائهم، دون نسيان إبراز طبيعة العلاقات الجزائريةمع جاراتها في القسم الجنوبي من سواحل البحرالمتوسط .كما وجدناها قد اعتنت كل العناية بكيفية اعتلاء العرش من قبل عروج بربروسة على حساب سليم التومي حاكم الجزائر وزعيم قبيلة الثعالبة بها، ففيما تذكره أن عروج يكون مغتصبا للحكم من حاكمها سليم التومي، بعد أن تَعَرَّض هذا الأخير إلى عملية الخنق في الحمام، وهو أمر يشاطره كل من بربريجرودوغرامون.

كما كان للصراع القائم بين الأتراك والكراغلة على الحكم موضوع أسهبت الكتابات الغربية في الحديث عنه، محاولة استغلاله لتبيان جوانب الضعف وسلبيات النظام العثماني بالجزائر. إذ كرس له دوغرامون صفحات عديدة من كتابه لتبيان وتحليل مختلف الثورات التي قام بها الكراغلة ضد أباءهم، متعاليا في تحليلاته. وبالرغم من اتفاقه مع بعض المصادر المحلية كحمدان خوجة ذو المصداقية بالأحداث بحكم انتمائه إلى المنطقة والسلطة معا في أثر الثورات في زعزعة وتقويض مواطن القوة العثمانية في الإيالة الجزائرية، إلا أن دوغرامون بحكم تحامله على السلطة العثمانية، وجنسيته وحتى وظيفته كضابط سامي في الجيش الفرنسي ممثلا للمدرسة العسكرية الاستعمارية الفرنسية قد حاذ عن جدة الصواب والموضوعية في مثل تلك القضايا، حتى حكم عليه المؤرخين بشدة عنفوان ومغالاة أرائه في كتبه سيما في كتابه المرسوم: تاريخ السيطرة العثمانية أو بالأحرى تاريخ الجزائر تحت السيطرة العثمانية من 1515-1830.

أما فيما تعلق بالمؤسسة العسكرية بشقيها البري والبحري، فلم تخلو منها صفحات الكتابات الغربية اذ أضحت محورا لنقاشاتها واستفساراتها تنظيما وعددا وتكوينا وعدة، فنذكر منها ماورد في تقارير الضابط هولن وتقديراته للقوات البرية الجزائرية **(شويتام.د ت ن ،ص 25)**، مثلما لم تتجاهلها تقارير القنصل الفرنسي Tanville ،وكذا الضابط الفرنسي بوتان **Boutin**عام 1808 ، كما اهتم وايزمن weissman بالحالة الاجتماعية للجنود ومعيشتهموأجورهمإذأفادنا في كتابه بالقوانين الحامية للمعطوبين و العاجزين منهم من الجند، وحالتهم المدنية **(weissman.S D E ,p 35)**.كما أفادنا وليم سبنسر بالمناصب والرتب المختلفة للهيئة العسكرية البرية (**سبنسر.1980، ص56)** بينما خصص لنا الطبيب شاو في رحلته جزءا للحديث عن مرتبات الجند من حيث القيمة والمدة وفصل فيها وفي أجواء تقديمها قائلا: "إنها تتم بحضور الداي والأغا والكاهيةوالبولك-باشي والكتاب والباشا شاوش والخزناجي ومساعديه، والمكلف بها وهو الأغا، وبعد تسليم المرتبات للداي والضابط ويليه الجنود، وتتم العملية لمدة أسبوعين بينما الغائبون منهم يستلمونها عند عودتهم إلى المدينة" **(Show.1980, p190)**، كما ذهب بنابربريجر إلى وصف ثكناتهم في مقال له يقول فيه: "إن الوصول إلى ثكناتهم القديمة الواقعة في شارع البحرية، والوصول إليها يتطلب صعود الأدراج، وهي تقع بحي الدوامس القريب من باب الجهاد المقابلة لشارع القناصل، أمّا عن حياة الجندي في الثكنات العسكرية فهم عزاب، أما المتزوجون، فيكونون مع أفراد عائلتهم في أحياء المدينة بشرائهم واستئجارهم للمنازل" . **(Berbrugger.1858 ,pp 95-132-1859)**

أن مثل تلك التقسيمات الواردة في ثنايا الكتابات الغربية لا أساس لها من الصحة، سيما وأنها قامت على أساس عرقي، ثم أنه و استنادا إلى الصبغة الدينية التي قامت عليها الدولة العثمانيةوالتي قوامها الدين الإسلامي- وما يدعو إليه من تحرير الإنسان من العبودية والاسترقاق باعتمادها على الجهاد الديني، واستنادا لتعاليم الدين الإسلامي الداعية إلى التسامح الديني والتساوي بين أهل الرعية، ولما كانت الدولة العثمانية أحد حماته وراعي ته- فقد كان لدخول الاثنيات المختلفة في التركيبة الاجتماعية

لإيالتها أمر لا مفر منه، وواجب ديني ألزمت على تطبيقه. إلا أنه ما لا يدع مجالا للشك في أذهاننا أن تلك الكتابات وأمام تحايلها وتحاملها على الإسلام والحكم العثماني، فقد استغلت هذا التنوع الاثنيللتركيبة الاجتماعية لإثارة النزعات ،ومحاولة ضرب تلاحم وقوة عناصر الأمة الواحدة في الصميم، وهو مبدأ قامت عليه المدرسة الغربية سيما الفرنسية منها، فكان منهاجالها واصلت عليه حتى بعد الاحتلال في إطار سياسة فرق تسد فظهرت باسم المسألة البربرية في الجزائر، وعرفت بالظهائر البربرية في المغرب الأقصى، وسعى إلى تكريسها عسكريون من خلال دراساتهم الأنثروبولوجية.

3. المنهج المعتمد في دراستها:

من حسن صفات المصادر الغربية هو الجمع الكافي للمعلومات، بنشاط المستشرقين فيها أمثال أدريان بربريجركأول رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية، وأب الاستشراق الفرنسي في الجزائر روني باسي، ودوغرامون، فاستعملوا في كتاباتهم تقنية تصنيف المادة حسب التخصص بالرغم من كون أغلبيتها جاءت نشرا وترجمة للتراث الجزائري كوليام شالير، ثم غياب التأصيل والمرجعيات، ذلك أ نّ كل من دوغرامون، وبربريجرودوهايدولم يستعملوا التهميش ولم يذكروا مراجعهم ممن استقوا منها معارفهم، وهو ملاحظ حتى عند الأب دان ومارمولكربخال، إلا أن الوضع قد يختلف مع هؤلاء الذين كانوا شهادات حية وعايشوا المواقف عن قرب فكانوا أبطالها، خلافا لدوغرامون وبربريجر اللذان كان بعيدين عن مسرح الأحداث.

كما يعاب عليها كونها مصادرعمومية، سيما تلك التي كتبت في القرنين 18م و19م، معتمدة على الأرشيفات الأوروبية، وعلى ممن عايشوا الأحداث ممن سبق ذكرهم، مهملة اعتمادها على المصادر المحلية بدعوى نقصها ومبالغاتها الواردة فيها وقيامها على الأساطير، فكان ذلك تقصيرا منها.

أما عن أسلوبها فقد امتزج بالعاطفة الدينية وهو حال المصادر المحلية الجزائرية إبان القرنين 18م و19م، إذ أتت خ ادمة للأفكار الاستعمارية البعيدة عن الأهداف العلمية، معتبرة انتصار الإسبان عام 1732م بمثابةنصر مسيحي من عند الله للمسيحية وجعل العامل الديني عامل لتطور الأحداث والمواقف التاريخية ،وتفسير الجهاد بالهمجية،كما ركزت على الجوانب السلبية لتاريخ الجزائرالحديث، بجعلها من قضايا الأسرى والقرصنة مبررا لتدخلاتهم وعاملا لتطور سياق الأحداث.

لم تكتب أغلبية الكتاباتالاستشراقيةفي موضوع واحد ومحدد، بل جاءت جُلها عامة، لا وجود لوحدة الموضوع بها، فكانت تاريخا عاما للدولة الجزائرية خلال الفترة العثمانية، جاء بمزيج من الأحداث والمواضيع، فيما اعتمدت على وحدة الزمن في غياب وحدة الموضوع، فكانت جلها سرد كرونولوجي كحال كتابات دوغرامون، ودوهايدو وبربريجر بدرجة أقل .

4. نظرة المصادر الغربية إلى السلطة العثمانية في الجزائر و مصطلحاتها:

أدى انضمام الجزائر في ضوء الدولة العثمانية على مدار ثلاثة قرون متتالية وظهورها على مسرح الأحداث الدولية عامة و المتوسطية خاصة - سيما بنجاحاتها البحرية المتتالية التي حققتها في صد الحملات الأوروبية- إلى اهتمام الأوروبيين بها، رغبة في التقرب منها وكسب ودها.

أتاحت الحروب والمبادلات التجارية والجوسسة والعلاقات الدبلوماسية وافتداء الأسرى، وحب المغامرة لسكان أوروبا فرصا سانحة للتعرف على الجزائر والكتابة عنها من خلال حوادث وقعت لهم فيها، فتنوعت مؤلفاتهم، وتعددت ملاحظاتهم ومواقفهم ،ولقد وقع اختيارنا على بعض من النماذج، كانت لنا عونا ودليلا بل واستشهادا لإبراز مختلف وجهات النظر التي أفرزتها أغلبية المصادر الغربية، والتي تنوعت بين نظرات الاحتقار والتذمر أحيانا، إلى نظرات الإعجاب والإساءة أحيانا أخرى ومما نذكر:

- **نظرة الاستياءوالانتقاد للسلطة الحاكمة:**

هي النظرة الغالبة والتي استخلصناهامن ثنايا أغلبية المصادر الغربية، وكان قوامها أربع نقاط أساسية منها:

1. الغزو البحري: أو ما يسمى عندها بالقرصنة:

كان لقضية القرصنة أن تجاذبت أطرافها المصادر الغربيةوناقشتثناياها، منذ أن التحقت الجزائر بالدولة العثمانية 924هـ/1518م وهذا لما أثاره نظام البلاد الجديد في العالم المسيحي من حيرة واندهاش، سيما بخروج المغرب الأوسط من عزلته التي أنهكته، ومن التقوقع الذي أنسى الناس في وجوده، وتحوله إلى دولة ذات وزن دولي بنظمها السياسية الجديدة، وتقاليدها العريقة، وجيوشها الشجاعة، وبحريتها النشيطة والتي تحدث بها ملوك أوروبا. فكان لميلاد العملاقين الاسباني والعثماني في مطلع القرن السادس عشر أن كان مأساة للبحر المتوسط، إذ كانا سببا في المواجهات البحرية الطويلة الأمد التي عرفتها سواحل البحر المتوسط لمدة أزيد من قرن ونصف **(Braudel.1976 ,p122) .**

كانت البحرية الوسيلة التي لعبت بها الجزائر دورا كبيرا في التاريخ ولمدة تزيد عن ثلاثة قرون ،بها أضحت خطرا مهددا للمسيحيين إلى غاية مجيء الفرنسيين لانقاد البحر المتوسط من أضرار القرصنة البربروسية، ولقد اعتمدت هذه الدولة الغريبة -على حدّ مزاعم المجلة الإفريقية -على سياسة اللصوصيةوالسرقة وفرض الضرائب والإتاوات لأغلبية البلدان الأوروبية، فكان ماضيها عجيبا وشبيها بالأسطورة الرائعة ،ولما كان رياس البحر هم قوام البحرية الحربية، فقد قيل فيهم "ورياس البحر، وعظماء البحرية، هم متعطشون للدماء وحثالة الأتراك، وهم القرصينالناهبون" **(بلحميسي.1988، ص102)**،مثلما وصفهم غراماي جون باتيسيت، بنظرة الناقم المملوء حقدا وبأوصاف دنيئة جاء فيها "إن هؤلاء نهاب البحر مثلهم كمثل الحيوانات المتوحشة، ينقضون على الغنائم وهم يصرفون بكل شراسة، ثم يستولون على السفينة وما احتوته طمعا في الثروة، حتى ولو كانت السفينة لإحدى الدول المرتبطة بمعاهدة معهم" .**(Ben Mansour. 1998, p11)**

ممّا جاء على لسان وليام شالير واصفا قرصنة الجزائريين إبان العهد العثماني بنظرة ملأها الاستياء والتذمر من سياستهم تلك "والجزائريون الذين يقوم نظامهم السياسي على القرصنة يمنحون لأنفسهم حق إعلان الحرب على كل دولة مسيحية لا تشتري رضاهم بمعاهدة" **(شالير.1982،ص63)**، و اشترك بنظرته هذه مع فون مالتسان بقوله: "...ولكنهم مارسوا القرصنة إلى أبعد حد، فكانت هذه تمد رؤوسها كثعبان الهيدرا المتعطشة للدماء نحو جيرانها في حوض البحر الأبيض المتوسط، فأصبح لزاما عليهم أن يدفعوا لهم الإتاوة، وإن رفضت دولة من الدول دفعها للضريبة، فعليها التوقع أن ترى عاجلا الكثير من أبنائها يقادون إلى عبودية المسلمين" (**مالتسان. د ت ن ،ص 47**) ولقد أثارت البحرية الجزائرية دهشة السفير الانجليزي Cottingham القائم في البلاط الاسباني بقوله: "إن قوة وجرأة قراصنة شمال إفريقيا، هما الآن على هذا النحو من الضخامة سواء في البحر المتوسط، أو في المحيط الأطلسي، وأشهد أنني لم أعرف في حياتي شيئا قد جلب إلى البلاط الاسباني الأسى العميق، والخراب الكثير غير هؤلاء القراصنة".**(Dan. 1637, p315)**

أغرقت الأدبيات الأوروبية مسألة القرصنة في بحر من الزيف، والتضليل والتحامل إلى درجة أن أضحت كلمة القرصنة مرادفا في المفهوم العام الشائع لكلمة اللصوصية، وعنوانا يطلق على البحرية والبحارة المغاربة في الفترة المختارة للدراسة، وهو استمرار للحملة الصليبية على المسلمين، وأسلوب من أساليب شحذ الأذهان الممارس مما قبل الكنيسة في ذلك العصر **(قنان. 2007، ص ص 249-250)**، إذ أن الحديث عن القرصنة (الجهاد البحري) يقودنا إلى مفاهيم كثيرة بحسب الجهات والعقلية التي صدرت منها والتي أوحت بكتابتها، فلفظ قرصان فهو مشتق من اللفظ اللاتيني

كورساروCORSARO والذي يطلق على كل سفينة مسلحة ومرخصة لها إجابة البحار، ومقاتلة سفن الأعداء **(الصالح. 1986، ص20)** ليعرف هذا المصطلح تطورا تدخل ألفاظه في دائرة السلب والنهب البحري(*PIRATERIE)* والنشاط القرصاني(Activité corsaire) والقرصنة البربرية

.)La course barbaresque(

وضعت الدراسات الأوروبية القراصنة المغاربة، ضمن نطاق النشاط القرصاني في سواحل إفريقيا الشمالية للبحر المتوسط، بيد أن تاريخ القرصنة الأوروبية بدأ منذ زمن مبكر،إذ تعود جذوره إلى العهود القديمة على حد تعبير الكاتب الصحفي البولندي ياتيسيكماخوفسكي، إذ كان كوكب الأرض بأسره مسرحا لها ولأحداثها، ويضيف قائلا: " لقد تناست الكتب الغربية أن عالم القرصنة هو عالم حوى أناسا من شتى الأجناس أوروبيين وعرب وصينيين، وأن جذور القرصنة هي من جذور اجتماعية ونفسية، كان شكلا من أشكال الاحتجاج الاجتماعي للخروج من مجتمع قائم على الظلم، مجتمع تنظمه علاقات تعسفية، وتتحكم فيه بشكل صارم مؤسسات جائرة، كما كانت في بعض الأحيان سعيا لتحقيق نظام اجتماعي جديد وفقا لمُثُلٍ فضلى في ذلك العصر،... ، لقد تسنى للقراصنة رفض مبادئ العصر القديم وتقاليده الراكدة والبعيدة عن كل تغيير ولهذا السبب نالت القراصنة أعجاب أبناء القرن السابع عشر والثامن عشر كتب فولتير **...." (باتيسيك.2008، ص ص 06-09)**،ويضيف نفس المؤرخ قائلا: "إن شمس القرصنة قد أشرقت منذ قدم الإنسانية وظهورها مرتبط بظهور الملاحة البحرية، اشتغل بها الفينيقيون ثم الإغريق إذ كانت عندهم حرفة رفيعة المنزلة، وما أن وصلت إلى البحر الأبيض المتوسط، شكلت بقدر كبير تهديد على أعظم دول العالم القديم كالإمبراطورية الرومانية، ولقد ذكرت في أصولها إلى حروب طروادة حيث عمد شاعر الإلياذة هوميروس في وصف مآثرها في الأوديسا وكان بوليقراط أعظم قراصنة العالم القديم..."**(باتسيك.2008، ص ص 19-22).**

الغريب في الأمر ان إدراج مثل هذا المصطلح في أدبيات الكتب الغربية لم يكن هباء، بل كان الهدف منه إلصاقه بتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، والتي ارتبط وجودها بامتهان المصطلح كحرفة وكأنها ترغب في القول بان نشأة هذه الدولة كان على أساس النهب البحري الذي ترك بصمات على ماضيها ومجدها.

لعل من الكتب الغربية التي خرجت عن المألوف ونظرات التحامل على التواجد العثماني في الجزائر نذكر لوجيي دو تاسي في كتابه تاريخ مملكة الجزائر ،والذي رد على المزاعم الأوروبية فيما يخص القرصنة قائلا: "لقد مورست القرصنة من الأتراك ضد الأوروبيين وحتى من المسحيين ضد الأتراك يوم قوتهم، ثم أن المسيحيين هم من البرابرة وقد تساءل فيما إذا لم يكن لصوص في جبال البيرينيه والألب وسردينيا وقبرص محميين بأمراء وأسياد..." **.(De Tassy.1725 ,pp311-312)**

لقد أكد **كاتCat** في قوله "قد رأينا خلال القرن السابع عشر الهولنديين، والانجليز، والبنادقة، وفرسانمالطة، و الجنوبيين، والنابوليتان، يحاربون البحارة الجزائريين،...، لم يقوموا وحدهم بالقرصنة بل هناك الانجليز والهولنديين وأناس من مختلف الأمم كانوا يمارسون القرصنة ببشاعة وعنف". **(Cat . 1889, p291)**.

كانت مثل هذه الشواهد أَدِلَّة حية وصادقة نابعة من كُتَّاب أوربيين، مؤكدين بأن القرصنة التي اتُّهِمَت بها الجزائر وحدها إنما كانت ممارسة عامة شاركت فيها كل الدول البحرية آنذاك، ثم إن سلوك الجزائري كان في الغالب رد فعل لاعتداءات طال أمدها على أراضيه، ولقد قيل في هذا الصدد "إن القراصنة الجزائريين قد تعرضوا أول الأمر إلى قراصنةأوروبيين لا يقلون عنهم جرأة ومهارة، وهم لم يكونوا على أعمال دفاعية ضد المسلمين فحسب، بل كانوا يبدون نشاطا قويا بنهب سفن وسواحل البلاد الإسلامية" **(بونو.1972 ، ص 102)**،كما أكد ذلك كورين شوفاليه قائلا "إن القرصنة هي حرب

مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحروب، فبالنسبة للمسلمين فإن القرصنة قبل كل شيء هي أشكال من أشكال الجهاد البحري" **(شوفاليه.2007، ص49).**

- **مسألة الأسرى ونظرة التذمر:**

تُعَدُّ من أهم المسائل التي استغلتها معظم الكتابات الغربية أيما استغلال خاصة ما تعلق منها بالأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر، باعتبارها من أكبر الموانئ لهم في حوض المتوسط، ومن أشهر الكتاب نذكر البندكتيدوهايدو الذي أسرف كثيرا في الموضوع ذاته،منتقدا بشدة السياسة التي انتهجها الحكام العثمانيون في الجزائر بشأن الأسرى وأعمالهم الشاقة خلال اليوم: قائلا"ومن بين العديد من المسيحيين يوجد من يحملون الأخشاب على أكتافهم، تلك التي قطعت من جبال شرشال أو جيجل، و يواصلون العمل من الصباح إلى المساء في صنع المراكب،وآخرون منشغلون بصنع الحبال، وصهر الحديد والنحاس دون أخذ أدنى أوقات الراحة" كما نجده يعظم من صورة الأسرى المسيحيين وتأثرهم من أعمال القراصنة الجزائريين" **,, (De Haedo.1911p04,p153)**، بينما نَوَّهَدوغرامونبالفوائدالكبيرة التي تعود عليها مسألة بيع الأسرى على الدولة الجزائرية **(De Grammont. 1887, P274)**،وقد استرسل في كيفية بيعهم قائلا: "ولا واحد منهم يمكن أن يباع دون دفع 10%من ثمن شرائه، فبعد اختيار الداي لثمن العبيد، فالباقية منهم يذهبون إلى سوق العبيد فيكون بيعهم الأول، أين يقوم الدلالين بقيادتهم الأول تلوى الثاني في سوق يذكر فيه مهنة وصفة العبيد، فيباعون في المزاد وعند الوفاق يكتب الكاتب الثمن، وأما البيع الثاني فيقام بحضور الداي، في دار الملك أين يسرح العبيد ويعرض للمزاد، فالدافع لثمن كبير يكون من نصيبه ذلك العبيد" **(DEGrammont.1887, p275).**

من جهته صوّرلنا الأبدان ، حالة الأسرى المسيحيين في الجزائر بأوصاف مزرية تشير للتذمر من السلطة الحاكمة، مستنهضا همم أبناء عقيدته من أجل تحريرهم، ومن ذلك قوله "في عام ألف وست مائة وواحد وثلاثين، أمسكوا بستين وسبعة وثلاثين شخصا، رجالا ونساء وأطفالا، وجيء بهم إلى الجزائر، وعُرِضُوا للبيع، وأبعدت النساء عن أزواجهن، والأولاد عنأبائهم، وها هي بنت تنتزع من أحضان أبويها دون شفقة ودون رحمة ، لئلا تراهم إلى الأبد، وقد عرف في الجزائر الكثير من العبيد من هذا العدد الذين لم يجدوا أي مسيحي يدافع عنهم بالسلاح، والذين لا حجة لديهم لإنقاذ شرف البنات، وكثير من النساء ممن استسلموا لهمجية البربر" . **(Dan. 1637, p313)**

كما لم تتوانى الكتابات الاستشراقية عن إضفاء الصورة السيئة على معيشة الأسرى المسيحيين في الإيالة الجزائرية، والكلام عن كيفية إجبارهم على ترك دينهم، واعتناق الإسلام، وفي معاملة الأسرى من قبل المسلمين والعثمانيين على حسب مزاعم الكتاب الغربيين التمسنا نوعا من المبالغة في الوصف، إذ حاولوا في عمومهم إضفاء صورة العبودية على كل من يؤسر في الجزائر، ذلك أنه لم يكن تعامل السلطات الجزائرية مع الأسرى المسيحيين أو الأحرار منهم بتلك الصورة المرعبة، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال مقارنته بمعاملات الأوروبيين للرقيق، ذلك أن تعامل السلطة الحاكمة بالجزائر مع الأسرى، قوامه التقاليد المتعارف عنها، ولم تؤدي الظروف الحرجة بالسلطة العثمانية الحاكمة في الجزائرالتي كانت تمر بها في أخر أيامها إلى الخروج عن مثل تلك التقاليد المعهودة في حماية الأسرى المسيحيين، والأمر حسب اعتقادنا يعود إلى حساسية الأوروبيين تجاهها، ذلك أنهم لم يتمكنوا من تقبل هذا السلوك وممارسته مع من يقع تحت أيديهم من الأسرى.

في نفس السياق ،أشاد تيدينا بالترحاب الذي لاقاه من الباي محمد الكبير باي الغرب قائلا "أملنا أن يعامل العبيد من الترك والمغرب الموجودين بين أيديالأسبانوالنابوليتان والجنوبيين والمالطيين، مثلما يعامل المسيحيين، وهم بين أشخاص وصفو بالوحشية ..." **(عميراوي. 2009، ص40)**،أما موضوعية لوجي دوتاسي فقد جعلته يبوح قائلا " إن العبيد يفضلون البقاء في الجزائر من ذهابهم الى الأوطان

المسيحية، وأن أسياد العبيد هم مصفحين عن العبيد خوفا من إضاعتهم، ثم إنأكثرية العبيد عندهم سيادة في ديار أسيادهم، الذين يعيشون معهم في ترف، إن العبيد هم أكثر احتراما في الجزائر من المسيحيين الأحرار(**De tassy. 1725, pp 278-280**)،مثلما أكدت لنا مذكرات تيدينا تدرجه بكونه شخص متفق عليه لإدارة منزل باي معسكر وببقائه في القصر مدة ثلاثة أعوام وأربعة أشهر، تَدَرَّجَ في المناصب إلى أن صار خزندارباي الغرب الجزائري وهو ما يعادل وزير المالية حاليا، فكانت من مهامه حفظ الثروة وترتيبها وتسييرها، مثلما يقوم بالتفاوض مع الهيئات الأجنبية، **(عميراوي. 2009،ص25)**،ولقد قابله بالعطاء، وأخصه بعناية فائقة وبحب كبير، وهو ما لم يكن في صالح تيدينا، ذلك أن حب الباي له قد منعه من قبول الفدية واسترجاع حريته " **(عميراوي. 2009، ص 26)** كما أكد تيدينا على معاملة القراصنة له "والتي لم تكن بالسيئة مثلما كان ينتظر...، فقد كانوا إنسانيين بعض الشيء طيلة الأربعة أيام التي قضيناها للوصول إلى العاصمة" **(عميراوي. 2009، ص33)**،بينما أكد على كثرة المدخولات الزراعية وهو ما يكذب مزاعم دوغرامون التي شككت في حيوية الاقتصاد الجزائري ،وحرص على تقوية أقواله في مدى اعتماد الخزينة على القرصنة البحرية لما تذره من غنائم وأرباحا لصالح الخزينة العامة **(عميراوي. 2009 ،ص 91)** ، ثم بإشرافه الشخصي على عمليات التصدير للحبوب والصوف من ميناء مستغانم إلى فرنسا وبريطانيا .

- **نظرية المبالغة والتضخيم من مسالة الضرائب:**

وضعت المصادر الغربية مسالة الضرائب محل اهتماماتها الأولى ، بإبرازها بنوع من التضخيم والمبالغةالى درجة وصفها لمعاناة السكان من جرائها، وعدم التنازل عنها و أخذها بصورة منتظمة عن كل الممتلكات بإعفاءالأتراك عن دفعها. يقولشالير وليام في مذكراته " والبايات وحكام الإقليم هم المسؤولون عن جمع الضرائب بواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة، ويستحوذون على كل ما يقع تحت أنظارهم من أموال الشعب، وهذا الظلم الذي لا يطاق جعل الناس يهجرون البلد ويتركون السهول الخصبة ليلجئوا إلى الجبال" **(شالير. 1982، ص 59)**، وهو إن يُؤَكد على حالة الأهالي الجزائريين المتسمة بالظلم والتسلط عليهم من قبل الولاة والبايات، فلعله قاصدا الحديث عن الفترات الأخيرة من الوجود العثماني في الجزائر والتي شحت فيها مداخيل الخزينة، فعرفت البلاد نكبات خارجية وداخلية، أما الفترات الأولى من ذلك الحكم فقد كانت على غير عادة لاحقاتها، إذ لم تكن الضرائب سوى رمزية بشكل منقطع،أمام ازدهار الخزينة العمومية بمداخيل الجهاد البحري وغنائمه المختلفة.

مما لا يخفي على أحد منا أن نظام الضرائب بالايالة كان يتصف بالواقعية، سيما في القرون الأولى من عهدتها القوية، آخذا بعين الاعتبار واقع البلاء ونفسية أهاليها، واختصاص كل منطقة بضريبته تتلاءم وطبيعة تضاريسها، فأحوالها المناخية بها، كما أقر شالير بكون الضرائب الداخلية تجبى على أساس ما ينص عليه القرآن **(شالير.1982، ص 59)** ،قوامها العدالة والمساواة بين الجميع، فيها أَكَّدَ حمدان خوجة طواعية السكان في تقديمها للسلطة الحاكمة، وبكامل رضاهم قائلا " إذا رجعنا إلى تفاصيل حكم الأتراك، وتنظيمات الأهالي المجاورين لمدينة الجزائر بسهل المتيجة وبئر سليمان....أعيدإلى الأذهان بأن هؤلاء السكان قد طلبوا من الباشا قائد الايالةأن يعين لهم أحد الأتراك لجمع الضرائب، ويقيم بينهم شاهدا على تصرفاتهم..."**(خوجة. 1980، ص114) .**

- **نظرة اثارة الفتن والنعرات لعلاقة العثمانيين بالسكان:**

أولت المصادر الغربية أهمية منقطعة النظير لعلاقة العثمانيين بالسكان، وعلى قضية إبعاد العنصر المحلي والكراغلة عن إدارة شؤون البلاد، فاعتبرته ضربا من ضروب العنصرية والتهميش، وهو كفيل لإبراز الطبيعة الاستعمارية للوجود العثماني في الجزائر حسب اعتقادها، إذ جاء على لسان فانتور دو بارادي " يكفي أن تكون مولودا بتركيا وتكون مسلما لتفوز بالانضمامإلى صفوف الانكشارية في

الجزائر، وبالمراتب العليا المقربة من الداي " **(De Paradis. 1985, p87)**، بينما ذهب روبير أجرون في مزاعمهإلى وصف الصبغة الاستعمارية للعثمانيين في الجزائر قائلا " رغم انتفاضات القبائل العربية البربرية فان هذا الحكم الاستعماري يتحكم في البلاد، معتمدا على أفواج المخزن، مستغلا الطرق الصوفية أو الزوايا" **(أجرون. 1973، ص06)** .

نظرة الإشادة والاستحسان الى السلطة الحاكمة:

بالرغم من محاولة الكتابات الغربية طبع الوجود العثماني في الجزائر بالصبغة الاستعمارية المستبدة، وإضفاء عليه سمة السلبية، إلاأنها كثيرا ما حملت في طياتها إشاد ة بسياسة حكامها ، وقد تجلى ذلك في سياسة التسامح الديني وحرية المسيحيين في ممارسة شعائرهم الدينية والتعبدية في الجزائر العثمانية، فكتابات دوهايدونوهت بتلك السمة قائلا" وكذلك تجدرالإشارة انه في إقامة الباشا حيث يجمع العبيد المسيحيين.... يوجد بوسط الساحة خزان ماء، وبأحد جوانبه الكنيسة التي تردد بها التراتيل طوال السنةوبالأخصأثناءالأعياد التي لا يغيب عنها رجال الدين الأسرى، وهم عادة أكثر منأربعين من مختلف الجنسيات، ومن بينهم يوجد الأطباء والمعلمون" **(De Haiedo.1911 , p223)** .كما أكد لوجي دوتاسي في نفس السياق ما يلي "توجد حرية الديانة لكل الأجانب، توجد كنائس وإباء الدين، بل كل الديانات تحظى بالحماية، .... وبقدرما يشتهر الإنسان عندهم بالتدين إلاويرتفع قدره عندهم، ويحترمونه، ويحمونه".**(De Tassy ,1725, p661)**

أما عن معاملة الأسرى، فقد أشاد بها وليام شالير بالرغم من تحامله على السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر، اذ صرح واصفا حالتهم "لقد كانت سلطات الايالة دائما تحمي العبيد من الأذى ومن سوء معاملة الأهالي، ....إنالأسيرات كن دائما يعاملن بالاحترام الذي يفرضه جنسهن، والاشتغال التي كانت تطلب إلى الرجال للقيام بها لم تكن مفرطة المشقة، .... والواقع انه يوجد عدد من المناصب العليا من التي كان يشغلها العبيد الذين كسب كثير منهم ثروات طائلة من ورائها، والعبيد الموظفون في القصر أو الملحقون بالشخصيات الكبيرة في الدولة يعاملون بأقصى اللطف، وبصفة عامة، فان كل عبد له ميل إلى الحركة والعمل، يجد الوسيلة لكسب رزقه، وباختصار فانه وجد من العبيد من يغادر الجزائر وقلبه مفعم بالأسف والحيرة" **(شالير. 1982، صص 99-100).**

كما استشهد سيمون بفايفر الأسير المسيحي بجملة من المعاملات التي كان يُعَامل بها الأسربالأوروبيين مشيدا بها قائلا" كانت وظيفتي تنحصر في معالجة الوزير وغيره من أفراد القصر إذاأصيبوا بمرض فكان لي فائضا من الوقت، وكان الداي الذي لم يكن له طبيب خاص يستشيرني كما كان يرغب في رؤيتيويضيف قائلا " لكي أعودإلى الحديث عن حياتي الإسلامية المسيحية، عن حياة العبودية الحرة، ينبغي أنأذكر أن حياتي كانت هادئة، ولم أشتكي إلا من السأم" **(بفايفر.1974،صص 29،47)**والأكثر من هذا فانه يذكر استدعاءه من طرف باي التيطري الذي عينه ترجمانا وخزندارا وطبيبا خاصا له، وينقل لنا في نص تعيينه، ينوه فيه بالمعاملة التي خص بها قائلا "نحن مصطفي ياياالتيطري، فأمر بتعيين حامل هذا المرسوم الحر خزندارا وترجمانا وطبيبا خاصا لنا، ونعاهده على أن نبالغ في احترامه وان نخلع عليه سنية ما اختار قربنا، وفضل البقاء عندنا، أن نسمح له بأخذأمواله وترك خدمتنا متى شاء وأراد" **(بفايفر.1974 ،ص113)**، ولعل مثل هذه النصوص كافية للتأكيد على حسن معاملة الأسربالمسيحيين من قبل القائمين عليهم من الحكام العثمانيين في الجزائر.

- **نظرة الانسجام بين السلطة والسكان:**

فَسَّرَ الكُتَّاب الغربيين عدم مشاركة السكان الجزائريين في تسيير شؤون السلطة بمقتضى لسانهم وسياساتهم، فبحثوا في طبيعة العلاقة بين السكان والسلطة الحاكمة وفي انسجامها فيما بينهما، فذهبوا

بأحكامهم القاسية والمتطرفة بالقول بمعيشة السكان بمعزل عن شؤون البلاد وسياستها، مطلقين العنان لأقلامهمولأذهانهم لتصور جانب من الصراع والقطيعة كان على أشده بينهما.

كان العثمانيون يحرصون في محافظتهم على العلاقة التي كانت تربطهم مع سكان الايالة من خلال ربط صلتهم بشيوخ القبائل والعلماء والمرابطين، ولم يتردد بعض الحكام في رفع منزله بعضهم والتقرب منهم، حتى كانوا يلبون نداء الجهاد لمواجهة الغزاة كلما اقتضىالأمر لذلك، ولقد عبر وليام سبنسر عن هذا الانسجام قائلا" خلال ثلاثة قرون من وجود الايالة، لم تكن هناك أية ثورة واحدة على المستوى الواسع ضد السلطة المركزية، وقد اظهر الأتراك تفهما للتحالفات القبلية التقليدية " **(سبنسر. 1980،ص71)**،ويضيف في هذا السياق لوجي دوتاسي " يبدو مستحيلا أن مائتي عربي يقابلون تُركيًا واحدا ويرضون بالخضوع، ولا يقومون بأدنى مجهود للتخلص منه" **(De Tassy.1725, p 57).**

مثلماأكد فانتور دوبارادي، في الفترة التي أقام خلالها في الجزائر "إن خضوع الجزائريين للأتراك عن طواعية، لكون عددهم لم يكن كافيا للإشراف على كامل القطر، لولا معرفتهم بكيفيات وحيثيات التعامل مع السكان الذين تعاونوا معهم في كل الظروف، ولقد قدر مجموع الجند في كامل التراب الجزائري بـ 3861 جندي تركي..." . **(De Paradis .1985 .p176)**

- **نظرة الاعجاب للانضباط في العمل:**

أشاد فانتور دوبارادي بالانضباط الذي كانت تعرفه الحياة الإدارية في الجزائر أيام الحكم العثماني بقوله ".... الحياة الجزائرية حياة جِدٍّ، وعمل صعب، والأمور تسير بدقة مدهشة، ومما يلفت النظر في دقة الإعمالالإدارية بالجزائر، إن كل واحد من رجال الإدارة لا يشتغل إلا بعمله فقط، الذين يشتغلون في المراكز الكبرى في الحكومة هم أكثر اشتغالا وكدا من الآخرين، حتى أن المرض الخفيف لا يعوقهم أبدا عن إتمام واجباتهم ....." **(De Paradis. 1985,p68).**

- **نظرة الإشادة بحالة الأمن:**

لم يتردد وليام شالير في الإشادة بحالة الأمن والتي سهرت على توفيرها وضمانها حكومة الجزائر في ظل ولاءها للقواجد العثماني، وهو ما جعل المواطن الجزائري يتمتع طيلة قرون في أجواءالطمأنينة و الراحة،إذ يقول"وأناأعتقد أنه لا يوجد مدينة أخرى في العالم يبدي فيها البوليس نشاطا أكبر مما تبديه الشرطة الجزائرية، التي لا تكاد الجريمة تفلت من رقابها، كما أنه لا يوجد بلد أخر يتمتع فيه المواطن وممتلكاته بأمنأكبر"**(شالير.1982 ،ص ص 77-78)**، ويقول فندلينشلوصر الذي عاش بقسنطينة قبل الاحتلال " يعاقب على السرقة بقطع اليد وان كان السارق مسلما" وهناك جرائم يعاقب عليها بالعصا، ويتراوح العقاب بين مائتينوألف ضربة" **(شلوصر. 1980، ص ص 82-83).**

- **نظرة تعجب لتجسيد العدالة والإخلاص للقوانين:**

أشاد دوهايدو بمجهودات السلطة الحاكمة في تجسيد العدالة بين مختلف عناصره ا وفئاتهاإذ يقول " لا يوجد أي مبرر شخصي أو شرفي يؤدي إلى تفضيل هذا عن ذاك، الكل سواسية، التركي أو الجزائري، اليهودي أو المسيحي، كان الأب قائدا أو خليفة أو باشا، كل واحد يجازي بحسب ما اقترف" **(De Haedo,1911, p180)**،وهو ما ذهب اليه لوجي دوتاسيمنوها بطرق المحاكمة في الجزائر خلال الحقبة العثمانية قائلا " المحاكمة المدنية أو الجزائية تتم ميدانيا دون كتابة، ودون مناداة من طرف الداي، أو القاضي،أو رئيس البحرية، وتمدد المحاكمة لإحضار الشهود إذا كانت الأدلة غير كافية، أو كانت القضية غير عادلة، يمكن لأحدأطرافها الاعتراض برفعها إلى الداي مباشرة والذي يمكن الاتصال به في شفافية طيلة ساعات اليوم"**(De Tassy.1725, pp 146-147).**

أما عن إخلاصالأتراك للقوانين ومدى حرصهم على حياة العدالة، فقد كان موضوع إشادةوليم شالير قائلا " إن الفعالية الآنية لكل نضام اجتماعي تكمن في تطبيق قوانينه، وفي هذا الصدد، فان ايالة الجزائر تجسد انجازا معتبرا نادرالوجود يكمن في إخلاصالأتراك المطلق لقوانين الإسلام، و بطبيعة السياسة الذاتية للأوجاق، وكذلك الحال بطبيعة حياة العدالة الجزائرية وبالحدود المصنوعة لمقاييس العقاب وأكثر من ذلك التعلم والتربية معادلين للقانون، وكان من المتعارف عليه أن وظائف السلطة الشرعية يتولاها أولئكالأكثرأهلية لها " **(شالير. 1982.ص ص 82-83) .**

- **نظرة الإشادة بالمحافظة على المال العام:**

من الجوانب التي أشاد بها الغربيون في كتاباتهم، قدرة الحكام العثمانيين في المحافظة على المال العام للايالة الجزائرية، حتى جعلت من المحاسن التي طبعت وجودهم في أخر عهدهم، فالحفاظ على خزينة الدولة، والذود عن تبذير أموالها من الصفات المقدسة لديهم، حتى في أصعبوأحلك فترات حكمهم، وهو ما عبّر عنه فانتور دوبارادي عند مدحه سياسة وأخلاقيات التعامل بالمال العام قائلا " لا توجد دولة في الدنيا تقتصد في الإنفاق من خزينتها كدولة الجزائر، فلا تخرج من تلك الخزينة إلاالأموال المقررة.... والعائدات الثابتة للدولة تمثل مبالغ غير منتهية أكثر بكثير من حاجياتها "

(De Paradis.1985, p163)،وقد جاء على لسان بفايفر تنويها له بالمبادئ الأساسية المبجلة لدى الجزائريين قائلا " وقد بدى في النهاية أن الناس لايعرفون إلاأمرين مهمين كريمين، هما القران وخزانة الدولة " **(بفايفر.1974، ص110).**

- **نظرة الإشادة بالالتزام بالأخلاق النبيلة:**

لقد أشاد ديغو دوهايدوبالمواصفات السلوكية والأخلاقية التي التزم بها العثمانيون من خلال سرده لحادثة عايشها في الجزائر، تظهر مراعاة الانكشارية لبعض المواصفات التي تنبغي أن تكون متوفرة في الحكام، فسردها كما جاءت على لسانه " في 6 أوت 1579م، أثناء تغيير الأغا، قام الانكشارية بإبعاد المرشحين الأربعةالأكثرأقدمية على أساسأن زوجاتهم عرفن بأخلاقهنوسلوكا تهن المنحرفة قبل الزواج")، ويضيف منوها ببعض السلوكيات الايجابية التي ميزت سيرة الأتراك في الجزائر " من بين الأوصاف النبيلة والعادات الشريفة، انهم مهما اشتد بهم الغضب، لا يتلفظون بكلمات الكفر، بل لا يوجد إطلاقا كلمات تركية أو عربية تسيء للرب" (**De Haedo.1911 ,p73،P196)**،وهذا تيديناأسيرالياي محمد الكبير يمدحه بإبراز صفاته النبيلة قائلا ".... مملوء بالإنسانية، وذو عقلية جيدة، له معارف قلما نجدها لدى أبناءأمته، محب للأجانب..." **Emerit.1948, p163).**

5-مساهمة الكتابات الغربية وأهميتها:

ان الباحث والدارس لثنايا مثل هذه الكتابات ليمكنه استخلاص أن جل ما أُلِّفَ عن تاريخ الجزائر متناولا الفترة العثمانية منه من المصادر الغربية كان صادرا عن رؤية خارجية، و ضَع نصب عينيه عرضا محدد ا، وميولاً مسبقة ،متأثرا في الغالب بروح العداء التي كثيرا ما طبعت جو العلاقات الجزائرية الأوروبية في الفترة ذاتها وهو ماجعل مثل هذه الكتابات في أساسها تقارير أو ملاحظات عن أوضاع الايالة، متأثرة بمواقف أصحابها الذين كانوا في الغالب قناصل، أورجال الدين،أو وكلاء تجاريين أو مبعوثين في السرية، أو بصفة رحالة مغامرين إلى ديوان الايالة الجزائرية، أوأسرى قُبِضَ عليهم من قبل الأعلاج .

كانت جلها وصفا وتقصيا لأوضاع الجزائر، وسلوك الحكام وعلاقاتهم بالدول الأوروبية على أشكال متنوعة من قرصنةأو جهاد بحري، وأسروإتاوات وهدايا وكل ما أفرزته حلبة الصراع المرير القائم

بين العالم الإسلامي وحامية حماه في الحوض الغربي من البحر المتوسط مع منافسه الغربي المسيحي، وعليه فإنها تفرض على الباحث فيها ومستعمليها تقصي الحيطة و الحذر عند الرجوع إليها ،ومعالجة إشكالية الحوض في غمارها ،وتقييمها انطلاقا من القضايا التي أثارتها والتساؤلات التي طرحتها.

ان مساهمة مثل هذه الكتابات تـدخل ضمن اتجاهات فكرية ومناهج تاريخية متباينةالأهداف ومختلفة الأساليب، اندرجت فيما يسمى بالمدرسة التاريخية الغربية الحاملة لتصورات قاصرة ومن هنا تجلت مساهمتها فيإثراء الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر بجزء قليل، وفي خدم ةأهداف الاستيطان الأجنبي، وتكريس النظرة الفرنسية والأوروبية والتي أولت اهتماما بالغ الأهمية بتاريخ الايالة الجزائرية في هذه الفترة، معتبرة لها بفترة إسلامية هامشية وغير مهمة، كانت الفوضى اغلب ما مَيَّزَأحداثها.

تناست المصادر الغربية الرجوع إلى المصادر المحلية والعثمانية بل همشتها كلية كالمخطوطات ودور الأرشيف والتقارير الجزائرية المعاصرة للأحداث ، بحكم التشكيك فيها وفي مصداقيتها واتسامها بالتجريد والمبالغة عن استعمال الوثائق الأوروبية ومصادرها، فكان تعبيرا صادقا منها لرفضها للحقيقة، ومعاداة الرؤية السليمة للتاريخ ،وتجاهل صريح للأخر.

مثلها اقتصرت مثل هذه المصادر الأجنبية على الاهتمام بمجالات محددة دون الأخرى، وعدم التطرق إلىأوجه الحياة الجزائرية إبان الفترة المعنية بالدراسة، بل ركزت جل نظرتها على جوانب الحياة السياسية،فاتسمت بسرعة أحكامها وتحيز مواقف أصحابها، وانعدام الموضوعية فيها، ثم إهمالها كل الإهماللأوضاع البلاد دون ما يتعلق بحملات الأتراك وفوضاهم، حتى يكاد المتتبع لهذا التاريخ التسليم بان الجزائر لم تعرف يوما واحدا استقرارا ولا أمانا، وأن التدخل الأوروبي استوجب بالضرورة لوضع حد لها.

كما حملت في طياتها تحاملا على الايالة الجزائرية وحكامها الأتراك، ووجهت إليهم الانتقادات والعيوب، لذلك أتَت دراستها سطحية غير مختصة وهو ما ذهب إليه حمدان بن عثمان خوجة بقوله " ينبغي أنأشير هناإلىأن هؤلاء الكُتَّاب قد عالجوا ميدانا هو غير اختصاصهم، ذلك أن الوصف الطوبوغرافي لموقع مدينة ما أو بلد معين لا يكفي للتمكن منالحديث منطقيا عن الأمور والمصالح المحلية، بل لابد من معرفة مناطق البلد ولغته، إن هؤلاء السادة لا يعرفون غير أسماء بعض الأماكن والجبال والسهول أوأسماء بعض القواد من ذوي النفوذ ورجال الدين، ومع ذلك يزعمون أنهم مطالعون على الأمور ويعرفون الأماكن والسكان معرفة جيدة " **(الزبيري. 1973، ص ص 158-159).**

كما ذهب في هذا السياق حسونة الدغيسي قائلا " وهكذا زنادقة الإفرنجالسياحون في الديار الإسلامية عند عودتهم الى أراضيهم يؤلفون رحلات في أسفارهم، وحين لم يكن لهم معارض في الرد على اختلافاتهم، يضعون من الكذب والبهتان ما الله بع عالم..... ويظهرون مزاياهم على قدر من اجتمعوا به، و يعرضونبأهلالإسلام، وفيها يقولون أرباب المناصب مالا يقولون، ويفعلونهم ملا يفعلون، ..... وبالجملة والتفصيل كل ما فيهم من المصائب والرذائل أوجدوه لنا معشر الإسلام" **(التميمي.1976، ص54).**

ان جل هذه الكتابات بقدرما حملت في طياتها بعض من الحقائق التي لا يمكن إخفائهاأو تجاهلها أو حتى الاستغناء عنها، بقدر ما انحازأصحابها لعواطفهم و ميولا تهم، وقلَّماوجدنا فيهم بعض المنصفين الذين لم يبالغوا في سرد الحقائق كما هي، وبالرغم من ذلك يظل الباحثفي إطارفضوليتهللبحث عن المضمون وكشف المكتوممجبرا على تصفح ثناياها، وعدم تجاوزها أو تجاهلها، بل هو مدعو إلى التزود بها كلما اقتضت الضرورة مرفوقا بزاد الحيطة والوعي الشديدين.

أضحتالكتابات الأوروبية تدون كل ما يخدم المصالح الاستعمارية والقضية الدينية، فكانت في كثير من الأحيان غير عادلة في أحكامها بفعل دراساتها المغرضة غير الوافية ،معبرة عن وجهة نظر كتابها النابعة من عقد الذنب والتفوق الحضاري والعسكري والديني، إلاأن الواحد منا لا يمكن نكران جانبا من مساهماتها في تاريخ الجزائر ابان الحقبة العثمانية في فهرستها لمكتباتنا العربيةالمتناثرة عبر التراب الوطني الجزائري، وهو ما مكَّنَنَا من تصنيف مادتها التي أضحت عونا لكل باحث خلال سعيه الأكاديمي في مجالات مختلفة كالتاريخ والعلوم الشرعية وكعلم الكلام و الفقه و التصوف...

بالرغم من سرعة أحكامها وقلة عمقها وسطحية تعبيرها وعموميتها حتى أضحت مواضيعها تاريخا روائيا - معتمدا على ذكر الوقائع والحروب وتعقب حياة الحكام ومظاهر الصراع بين السلطة والسكان- إلاأنها غَطَّت النقص الذي خلقته الكتابات والمصادر المحلية العثمانية بسكوت هذه الأخيرة عن جملة من الأحداث،وإتباعها المنهج التقليدي الكلاسيكي في التحليل ، وتناول كرونولوجيةالأحداث دون الاهتمام بتفصيل المواضيع بجانب واحد بنوع من الدقة والتحليل، ناهيك عن مزجها بين العاطفةوالأحداث وطابع الإقليمية.

الخاتمة:

عاشت الجزائر في ظل الحكم العثماني ما يزيد عن ثلاثة قرون (1519-1830) من أن تحظ هذه الحقبة من تاريخيها الحديث بالعناية الكافية من الدارسين المحليين، ذلك أن معظم الدراسات التي تناولت الفترة ذاتها كُتِبَتبأقلامأجنبيةأوروبية سيما الفرنسيين على وجه الخصوص، معتمدين على الأرشيفالأوروبي وتقارير وملاحظات أصحابها دون الرجوع إلىالأرشيف المحلي والعثماني.

سالت الأقلامالأوروبية على معالجة موضوع الحكم العثماني في الجزائر، بما شملته الفترة من سلبياتهوايجابياته ، ولقد تفنن روادها في إبراز تلك السلبيات وتناسي الايجابيات، فوجدناها لم تخرج من دراستها عن إطارالقضايا التقليدية متناولة باستفاضةطبيعة الحكم العثماني، و اضعة صوب عينيها الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية وعلاقة الايالة بالدول الأوروبية طيلة الحكم العثماني بها. وبالرغم من كل ما قيل فيها من سلبياتها ونقائصها إلاأنأهميتها لا يمكن تناسيها لفعاليتها في دراسة الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر الذي حاول البعض منها بل أغلبيتها في ضربه ومحاولة محوه بل و التشكيك وفي قوة الايالة وعظمتها، ومظاهر سيادتها الوطنية. ولعل ما كتبته وليم سبنسر في مقدمة كتابه الموسوم: الجزائر في عهد رياس البحر لخير دليل على ما ذهبنا إليه، مشيدا فيه بالجزائر كولاية عثمانية قوية ونشيطة، مكذبا لمزاعم الدول الأوروبيةولماضيها المخجل إذ قال في هذا الصدد " وقد خلفت دولة القراصنة التي وصفها الفرنسيون بالفوضى واللامسؤولية، ولاية تابعة للوطن الأم، نشيطة وعاملة وان سوء الإدارة التركية كان النغمة التي ترددت بشكل واسع وكسبب أساسيللتأخر السياسي والاقتصادي المنسوبين لشمال إفريقيا، وقد أصبح من المحقق أيضاأن الجزائر كانت تشكل جزءا من الماضي الأوروبي المخجل الذي كان فيه ملوك أوروبا مقسمون ومتناحرون على الأراضي والشهرة، وقرصان الجزائر يهجمون عليهم" وكذب من أرجع التخلف الذي عاشته الجزائر في الفترات الأخيرة من تاريخها الحديث إلى الحكم العثماني بها، ذلك أن حكما طال كل هذه المدة والتي تزيد عن ثلاثة قرون، من الطبيعي أن تتخلله مراحل الضعف والانحطاط وهو ما أقره وأكده ابن خلدون في نظرية زوال الدول وقيامها.

إن ما قدمته الدولة العثمانية للسواحل الغربية للبحر المتوسط لا يقدر بثمن، فلولاها لسقطت جلها كاملة في دائرة المسيحية ولدخلت بلدانها في ظل العبودية والهيمنة الاستعمارية منذ القرون الأولى التي أعقبتاستيقاظ الدول الأوروبية من سبات وظلمات عصورها الوسطى وهمجية شعوبها المتقاتلة فيما بينها.

ناهيك عن الزخم الحضاري الذي أعقبته وتركته لدى البلدان التي دخلت تحت حمايتها واستنجدت بها، من موروث مادي ولا مادي كقصورها وبناياتها الفخمة، و قصبات مدنها العريقة، وشبكة مياهها المحكمة، وتنوع مأكولاتها وملابسها التي لازالت تجذب أنظار السياح من كل صوب وحدب، وتسر إقامة المارين بها، فها هي الجزائر العاصمة، وقسنطينة وتونس كحواضر لا تقل شأنا عن حواضر أوروباعمرانا، أو ثقافة أوبهاء.

-قائمة المراجعباللغة العربية:

الكتب:

- باتيست، جون وولف. (1986) . **الجزائر وأوروبا** .(ترجمه أبو قاسم سعد الله).الجزائر:المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.
- بفايفر، سيمون.(1974).**مذكرات او لمحة تاريخية عن الجزا** ئر.(تقديم وتعريب: أبو العيد دودو).الجزائر:الشركةالوطنية للنشر والتوزيع.
- خوجة، حمدان بن عثمان.(1980).**المرآة**.(تعريبمحمد العربي الزبيري).الجزائر:ش و ن ت.
- زبيري،محمد العربي.(1973).**مذكرات احمد باي. وحمدان خوجة و بوضربة**.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- سبنسر، وليام.(1980).**الجزائر في عهد رياس البحر** .(تعريب وتقديم عبد القادر زبادية).الجزائر:دار القصبة للنشر .
- سعد الله ،أبو القاسم.(2005).**أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**. ط1.بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- سعيدوني،نصرالدين.(2012).**طبيعة الكتابات التاريخية حول النشرة العثمانية من تاريخ الجزائر** ورقاتجزائرية.الجزائر: البصائر للنشر.
-شالي،وليام.(1982). **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816- -1824**.(تعريب وتعليق إسماعيل العربي).الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- شلوصر، فندلين.(1980).**قسنطينة أيام أحمد باي** .(ترجمة وتقديم أبو العيد دو دو) .الجزائر:ش و: ن ت.
- ش وفاليه،كورين.(2007).**الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر** .(ترجمة جمال حمادنة).الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية.
-شويتام،أرزقي.(د ت ط). **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي إبان الفترة العثمانية**.الجزائر:دار الكتاب العربي.
- عميراوي،أحميدة.(2009).**الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني**.مذكراتتيدينا أنموذجا. عين مليلة: دار الهدى للطبعة والنشر والتوزيع.
- قنان،جمال.(2007).**معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1870.**الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار.
- ماخوفسكي،باتيسيك.(2008).**تاريخ القرصنة في العالم** ، ترجمة أنور محمد إبراهيم.القاهرة:الهيئة المصرية العامة.
- مالتسان،فون. (دت ن) .**ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا** .(ترجمة أبو العيد دودو).ج 1. الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

المجلات:

-أجرون،روبير شارل.(1973). كلمة **مقتضبة لتطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية**، مجلة الأصالة، عدد 14-15، الجزائر.

-التميمي،عبد الخليل.(1976). **الغرب كما يراه حسونة الدغيسي الطرابلسي سنة 1834**. المجلة التاريخية المغربية، العدد5 ،تونس.
-الصالح، صبحي.(1986).**الحماية من القرصنة في نظر الشريعة الإسلامية** . أعمال أكاديمية المملكة المغربية.دورة 9، الرباط، المغرب.
-الميلي،محمد مبارك .(د ت ن).**موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر**، مجلة الأصالة، العدد 14، الجزائر.
- بلحميسي،مولاي.(1988).**موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العصر العثماني** ، مجلة الدراسات التاريخية،الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية.
- سعد الله ،أبو القاسم .(1985). **أثر الجزائر في الأدب الأمريكي**، مجلة الثقافة، العدد 86، الجزائر.
- سعد الله ،أبو القاسم .(جويلية1977).**نظرة الأمريكان لتاريخ الجزائر**، مجلة التاريخ، العدد 4، الجزائر.
- سلفاتور،بونو،(1972).**العلاقات بين الجزائر و إيطاليا خلال العهد العثماني** .(ترجمة أبي القاسم بن تومي).مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد6-8، الجزائر.
-غطاس ،عائشة. (1988). **نظرةحول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهدالعثماني.** مجلة الدراسات التاريخية، العدد5، الجزائر.

قائمة المصادر و المراجع باللغة الفرنسية:.

Les livres:

-Berbrugger,Ad.(1858,1859).**Lescasernes des Yanissaires àAlger**.Alger :R.A.N°03.
-Braudel ,Fernand.(1976)**. La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II**. T2.Paris.
-Cat- E.1889. **Petite Histoire de l'Algerie**. 2T.Alger **:** Ajourdan.
- DAN.(1637**). Histoire de Barbarie et ses Corsaires pierre Racolat**. Paris : -MDCLIX
- De Tassy, Laugier.(1725). **Histoire du Royaume d'Alger**. Amesterdam : Henri de Souzet.
-De Grammont ,Henri. (S.D.E)**. leGhazaouat est-il l'œuvre de Kheir-EddinBarbarousse.**Paris **:**SME.
-DeGrammont ,Henri .(1887) .**Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830).**Paris.
-De Haedo ,Fray. Diego.(1911**). De la captivité.(traduit Moliner-violle)**. Alger :place du gouvernement.
-De Paradis ,Venture.(1985). **Alger au 18ème siècle**.RA.T41.Alger :OPU.
- Emerit, (M). (1948).**Les Aventures de Thedenat esclave et ministre du bey d'Afrique au 18 ^{em}siècle .mémoires de Thedenat écrites à Zurich en 1785-1948**.Alger : OPU.
-Show,T.(1980**). Voyage dans la Régence d'Alger**.(tradu C, J.Mac .carthy) .Tunis :édit Bouslama.
-Weissman.(S D E) .**Les Yanissaires étude de l'organisation militaire des ottomans**.Paris.

les revues :

-Ben Mansour, **Abdelhadi.(1998). Alger 16ème, 17ème siécles** journal de JeaubaptisteGramaye. Evêque de l'Afrique .Paris : les éditions du CERF.